

فَكَاهُنَا لَيْتَ

— الأمانة الثمينة (١) —

حدث بعض الرواة قال

كنت في مقبل العمر من ذوي اليسار ولم يكن لي عمل اهتم به ولا غاية اسعى في الوصول اليها الا اللهو والتمتع بمسار الحياة . وكان لي صديق يدعى السير نويل وهو فتى لم يتجاوز العشرين من سنه وقد ورث عن والديه اموالاً طائلة واتفق العلوم اللازمة لابناء الاعيان فطاف في اهم جهات المعمور وعاد الى قصره في انكلترا حيث اقام . وكان مثلي لا يهيمه شيء سوى ترويح النفس واستقبال الشمس في الصباح وتوديعها في المساء . وكان له عدة اصدقاء غيري اما انا فكنت اعزهم لديه واكثرهم بقاءً في صحبته وكنت اساعده في ترتيب غرفه التي كان يعتني بتزيينها بالتحف والفروشات وقد جلب اليها امعة شتى من الجهات التي سافر اليها من جملتها غرفة جمع فيها من العاديات والجواهر النادرة ما يثمن بالوف الليرات . وكان صديقي يكره الاقامة وحده في البيت فجعل حول مائدته ستة كراسي غير كرسية اعدّها للرئيسين وابعاح لاصدقائه المجيء في اية ليلة شاءوا لتناول طعام المساء معه . فكان هؤلاء الاصحاب يرون في الصباح فيكتبون اسماءهم انهم يحضرون في تلك الليلة ومن رأى منهم ان كرسية قد شغلها صديق آخر قيد اسمه لعشاء الغد . وهكذا حتى ان السير نويل لم يجلس يوماً على عشاءه الا وحوله ستة من نخبة اصدقائه .

وتكلمت يوماً مع السير نويل في امر الزواج وابدت له استغرابي لعدم اهتمامه به مع سعة ذات يده ومقدرته على ذلك فقال اتفق اني ذهبت يوماً الى الكنيسة ولما خرجت رأيت تلميذات احدى المدارس يخرجن ايضاً ورأيتي ووجدت بينهن

(١) معربة عن الانكليزية بقلم لسبب افندي المشعلاني

ابنة في منتهى الجمال وقد اطرقت بعينها الى الارض فلت بكليتي اليها وجعلت اراقب حركاتها فلم اعد انتبه الى جهة مسيري وتبعتهن الى المدرسة ولما دخلن شعرت باقباض في صدري ورجعت الى البيت وانا في منتهى الغم والكآبة . وبقيت كذلك الى الاحد القادم فقابلت الفتاة ايضا كالمرّة الاولى واجتهدت كثيرا ان اجعلها تنظر اليّ لاشير اليها باشارة حب او اتوصل الى مكالمتها فلم اتمكن من ذلك . وكان عند خروجهنّ من الكنيسة اني وقفت امام الباب وما وصلت الفتاة الى امامي الا وكانها اصيبت بالمجربى الكهربائيّ المندفع مني فسقط كتابها من يدها . فانحنيت كلعج البصر والتقطته وناولتها اياه فدت يداً بديعة الصنع تزري بيباض الثلج واخذت الكتاب مني . ثم نظرت اليّ بعينين ينبعث نورهما الوضاح تحت الاهداب الطويلة السوداء . وقالت لي بصوتٍ رخيم يأخذ بالقلوب « اشكرك » . فلم يطرق اذنيّ في زماني صوت اعذب مما سمعت حينئذٍ ولم تفعل بي قوة ارضية ما فعلت تلك النظرة المنكسرة فاصبحت ولها بالفتاة كلفاً بجبها ولا ادري هل لحظت مني ذلك او وجد عندها بعض ما عندي وانما اعلم اني راققتهنّ الى باب المدرسة كالمرّة السابقة فلم ترفع نظرها من الارض طول الطريق . وقضيت الاسبوع الثاني في منتهى الكد والوحدة وانا ارقب قدوم الاحد التالي فذهبت الى الكنيسة ولكنني لم اجد الفتاة هنالك فطار فؤادي وكنت اعلل النفس بملتها يوماً بعد آخر ولكنني لسوء الحظ لم اعد اراها منذ ذلك الحين . فعمدت الى السفر والجولان كي اخفف عن افكاري وقد آليت على نفسي ان لا اميل الى غير التي خصصت لها باكورة محبتي فاذا ساعدني الحظ ووجدتها بذلت غاية جهدي في الحصول عليها والا بقيت كما انا وكتبت على قبري « هذا جناهُ ابي عليّ وما جنيت على احد »

وفي ذات يوم وجدت كمادتي على سفرة السير نويل ومعني خمسة من الاصدقاء . وهم مثير الماني وآخر فرنسوي واثنان من رصفائي في المدرسة وضابط انكليزي يدعى الكولونيل جراهم كان قد اكمل زمن الخدمة واعتزل العمل . وكنت وجميع هؤلاء الاصدقاء في سرورٍ وانبساط كانوا اولاد اسرة واحدة نرح ونفرح معاً الا الكولونيل

الضيآء

(٢٢١)

جراهم فانه كان دائماً. مقطب الحاجبين عابس الوجه قليل الضحك وكان في هيئته وتسرقه على مائدة الطعام ما جعلني اشمئز منه واود لو انه لم يكن حاضراً معنا . وكان السير نويل لا يرى رأيي في الكولونيل وهو مع ذلك لا يعرف عنه شيئاً سوى انه قابله في مجتمع عمومي فتصادقا واخبره الكولونيل انه بعد انقضاء مدة خدمته في الجنديّة طلب تجديدها فأبّت الحكومة وكافأته بمبلغ من المال فعاد الى بيته في لندن ولما جلسنا الى مائدة العشاء اخذت تتوارد علينا الوان المأكولات التي كان السير نويل يعتني جداً باتقانها وكان كلُّ منا يقص ما يحضره من الاخبار والاحاديث وكنت اختلس النظرات من حين الى آخر الى جهة الكولونيل فاراهُ كأنه حاضِر الجسد غائب العقل فاذا سمع قهقهة الضيوف ضحك معهم دون ان يعرف القصة وهو مشرد الافكار قلق البال . وجاء في عرض الحديث ذكر التحف والعاديات التي جمعها السير نويل فاخذ السير يحدثنا عنها حتى وصل الى وصف ألماسة كبيرة الحجم حصل عليها من عهدٍ قريب وافاض في الترح عنها حتى زادت رغبتنا في النظر اليها وسألناه ذلك فنهض عن كرسيه وغاب هنيهة ثم رجع وعلى كفه قطعة من الالماس اشرق نورها في الغرفة فاخذت بابصارنا جميعاً . ثم جلس ودفع الالماسة الى يدي فاخذت اتأمل فيها وحقيقة لم ار في زمانى اكبر منها حجماً ولا اصفى ماءً واشد لمعاناً ثم ناولتها لمن كان يجانبي فدارت علينا كلنا وكلُّ يعجب منها في نوبته ويزيد في وصفها حتى عادت الى السير نويل . ثم اخذ السير نويل يقص علينا تاريخ هذه الجوهرة فقال انها وُجدت منذ نحو ثمانين سنة في قعر نهرٍ بالقرب من مدينة كمبرلي عثر عليها احد الكفار ولم يدرك قيمتها فباعها لجندي انكليزي كان هناك بنصف زجاجة من الوسكي . وحفظها الانكليزي عنده مدة الى ان تعسرت احواله المالية فقصد تاجر المائتاً يقيم هناك وعرض عليه ان يشتريها منه بنجمس ليرات استرلينية . وكان مع التاجر اثنان من اصدقائه فاحتالوا على الجندي لبيعهم اياها بنصف ما طلب فرفض ولما رأوا اصراره هجموا عليه بعصيهم فشجوا رأسه وقتلوه واستولوا على الالماسة . ثم عُرف امرهم بعد حين فالقت الحكومة القبض على اثنين منهم وحكمت

(٢٨)

عليهما بالموت شتقاً اما الثالث ففاز بالهرب وقد اخذ الجوهرة فبلغ بها مدينة الرأس وباعها ليهوديٍّ من مدينة همبرج بخمسين ليرة . وعرضها هذا على جمعية تجار فاشتروها منه بمئة وخمسين ليرة وارسلوها الى الجوهري الشهير فان هلست في اتورب ليحلوها ويتحقق قيمتها . فلما وصلت الى فان هلست تحقق جودتها وعرف انها ذات قيمة عظيمة فاتقن قطعها وفاوض اصحابها في امرها وكانوا قد جاءوا الى لندن فطلبوا منه ان يرسلها اليهم الى هنا . وكان قد شاع خبر هذه الجوهرة وتناقل الناس ذكرها ولا سيما عدد من اللصوص فعزموا على سرقتها باية طريقة امكنت . اما فان هلست فكان من المكر والدهاء على جانب عظيم فصنع ثلاث قطع من الزجاج بحجم هذه الاماسة وشكلها ولونها بطريقة لا يعلمها سواه بحيث صار يصعب جداً على الناظر ان يفرق بين الجوهرة الاصلية والزجاج . ثم شرع في ارسال هذه الحجارة الواحد بعد الآخر عن طرق مختلفة وغرضه في ذلك انه اذا احتال اللصوص على سرقتها في الطريق فانهم يسرقون حجراً منها ويكفون به ليقينهم انه هو الاماسة الحقيقية ويكونون قد سرقوا الزجاج ونجت هذه . وفاز فان هلست بنجاح حيلته فسرق في الطريق الاول والثاني من الاحجار الزجاجية وسلم الحجر الثالث والاماسة الحقيقية فلبغا انكلترا بامان واستلمها اصحابهما بغاية السرور . وقد تمكنت اخيراً من ابتاع هذه الجوهرة بعشرة آلاف ليرة واخذت معها الحجر الزجاجي ايضاً وانه والحق يقال لا يختلف عنها في شيء ولا يمكن ان يُعرف اذا اريتكم اياه وحده بل لا يفرقه امهر جوهري الا اذا وضع الحجران احدهما بازاء الآخر . ثم اخرج السير نويل الاماسة من جيبه وادارها بيننا مرة اخرى وهو يقول انتبهوا اليها جيداً فساءطكم الآن الاماسة الزجاجية لتروا هل تستطيعون ان تفرقوا بينهما . ولما مرّت علينا تلك الجوهرة صرنا بانتظار الزجاجية واذا بالسير نويل قد قهقه ضاحكاً وقال قد اغترتم بها وظننتم ان التي معكم هي الحقيقية مع انها هي الصناعية . ولما قال هذا اخرج الاماسة الحقيقية من جيب آخر وادار هذه ايضاً فكنا نتعجب جداً ولم تقدر حقيقة على تمييز الواحدة من الاخرى . وبلغ الحجران الكولونيل جراهم فكان يتأمل فيهما

الضياء

(٢٢٣)

باستغراب عظيم وقال كيف يمكنك ان تعرفها ايها السير بل كيف يمكن ان تعرف ايتهما التي ثمنها عشرة آلاف ليرة من التي لا يزيد ثمنها على بضعة ليرات . فقال السير نويل ان من الف النظر الى الالماس لا يخفى عليه هذا الفرق . على انه في استطاعة كل واحد منا ان يعرف الالماسة الحقيقية بواسطة امتحانات سهلة للغاية فانك اذا امررت الالماسة الحقيقة على لوح من الزجاج فانها تقطع شطرين ولا تفعل ذلك الزجاجية ثم اذا نظرت الى هذين الحجرين بمنظارٍ معظم تجد في الالماسة الحقيقية عروقاً وخطوطاً دقيقة ولا ترى ذلك في الزجاجية . واذا سكبت على الزجاجية قطرة من الماء او الحمر يكتفي نورها ويكمد لونها واذا فعلت ذلك بالالماسة الحقيقية لا يؤثر شيئاً في اتقاد نورها وشعاعها . ثم انك اذا وضعت الحجرين في كأس من الماء تجد الزجاجية كمدة اللون كزجاج الكأس اما الالماسة فتراها كشعلة من النار ينبعث منها النور الملون كمصباح من الكهرباء . ولكن ما لنا ولكل ذلك فقد اضعنا الوقت في الكلام على الجواهر والالماس فلنغير بحثنا

واذ ذاك اخذنا في حديث آخر وكان الحجران لا يزالان بين يدي الكولونيل يقلب فيهما طرفه ويفحص هبئتهما ونورهما . وطال بنا الحديث على المائدة ووزع علينا الخادم كمية من الفاكهة والجوز وما شاكل ذلك فكنا كأنا آيينا على انفسنا ان لا نترك المائدة وعليها ما يؤكل حتى بلغت الساعة العاشرة فقال السير نويل هلم بنا الآن الى غرفة اللعب لنقطع حصّة من الوقت فيها . ولما نهضنا باجمعنا قال السير نويل ارجو ان تردّوا اليّ الالماسة لاضعها في محلها . واذا ذاك نظرنا كلنا الى المائدة فوجدنا عليها حجراً واحداً التقطته واعطيته للسير نويل فنظر اليه قليلاً ثم وضعه في جيبه قائلاً هذا هو الحجر الزجاجي فأين الالماسة . ومدّ يده كمن يستعد ان يأخذها ولكننا لسوء الحظ لم تقف لها على اثر . والحال اظلمت وجوهنا بعد الضحك والانبساط وانحنينا الى المائدة نبحت بين الصحف وفضلات الفاكهة فلم نجد شيئاً . ثم جثونا على ركبنا وجعلنا نبحت في ارض الغرفة ببجدٍ وكديّ عظيمين حتى سال العرق من اجسامنا ولكن على غير جدوى . فقال السير نويل من المستحيل ان تكون الالماسة

خارج هذه الغرفة فلا بد ان نجدها اذا بحثنا مرة أخرى . فعدنا اذ ذاك الى البحث بهمة اعظم من الاولى وقضينا ساعة لم نترك فيها شيئاً في الغرفة الا قفصناه مراراً واخيراً وقفنا وقد قطعنا كل أمل من وجودها . وبعد سكوت بضع دقائق ونحن وقوف حول المائدة قال البارون الالماني ايها الاصدقاء ، لا يمكن ان تكون الاماسة قد خرجت من الغرفة وقد بحثنا في كل جهة فلم نجدها فلم يبقَ علينا الا ان نبحث في جيوبنا لانه من المحتمل ان تكون قد سقطت في جيب احدها على غير علم منه . ولما قال هذا ادخل يديه في جيوبه واخرج منها ساعتَهُ وكيس تقودم وسكيناً وغير ذلك ولما فرغ جيوبه قلبها ظهراً لبطن ليري انه لم يبقَ فيها شيء . وكان السير نويل قد تأثر شديداً من هذا العمل واخذ يلحّ على البارون ان لا يفعل وانه يفضل فقد جوهريته رأساً على ان يسيء الظن بأحد اصدقائه . اما نحن فلم يمكننا بعد عمل البارون الا ان نتقدي به فأخذنا نفعل فعله الواحد بعد الآخر حتى لم يبقَ بيننا الا الكولونيل جراهم فانه لم يتبع مثلنا وبقي واقفاً وقد وضع يديه على ظهر كرسيه وجد كأنه صنم من الحجر . فقال له البارون مازحاً ما لك يا سيدي الكولونيل قد تأخرت عن اظهار ما في جيوبك أملك تريد ان نلقي الشبهة عليك . فقال الكولونيل وقد خفته الغيظ وُصغ وجهه بلون الدم ماذا تقول يا حضرة البارون وماذا تعني بالقاء الشبهة عليّ . فقاطعه السير نويل قائلاً لا تغتظ يا حضرة الكولونيل فان البارون يمزح . فقال البارون انه لا يمكن ان نظن بأحدنا انه سارق ولكني قلت في البداية انه ربما تكون الاماسة قد سقطت في جيب احدها سهواً وقد بحثنا جميعاً في جيوبنا فماذا يضرّ لو بحثت انت في جيوبك مثلنا فانك تريح ضمائرنا جميعاً وتريح ضميرك انت ايضاً . فقال الكولونيل لا لا لن افعل . فلما سمعنا هذا الجواب حرنا جميعاً في الامر واستغربنا رفض الكولونيل وما ظهر على وجهه من علامات الغضب المتمزج بالحجل . فقال البارون كنا نودّ انك تفعل اكراماً لنا ولكني لست بصاحب الجوهرة ولا صاحب المنزل لا طلب منك ذلك بالحاح . ونظرنا جميعاً الى السير نويل لنرى ما يقول فبادرنا الكولونيل وقال ان صاحب المنزل اكرم واسمى من ان يطلب مني

الضياء

(٢٢٥)

ذلك حتى انه لو فعل لما امكنتني اجابة طلبه فاني لا افتح جيوبي امامكم وانا حي فاستولى الصمت علينا ووقفنا كالأخوذيين واذا بالكولونيل قد ترك كرسيه ولبس قبعته وسار نحو الباب . فهمس البارون في اذن السير نويل ان لا يدعه يخرج وان يلح في تفتيشه اما السير نويل فكان لا يدري ماذا يجب ان يفعل فقال للكولونيل اذهب انت يا حضرة الكولونيل . فنظر الكولونيل بوجه كالح بلون النهار وقال نعم ذاهب لانه لا يمكنني البقاء دقيقة واحدة مع اناس يظنونني سارقا . ولما قال هذا خرج واقفل الباب وراءه تاركا ايانا كمن على رؤوسهم الطير

وكان السير نويل اول من استأنف الحديث فقال لقد اسرعتم يا اصحابي في اجراء امور لا لزوم لها وتركتم صديقنا الكولونيل يخرج مستاء واني اعتقد تمام الاعتقاد انه لا يعلم شيئا عن الجوهرة وان رفضه البحث في جيوبه لم يكن الا عن احساس غريب يعتاده من يخدم في الجندية . فقال البارون اما اظن عكس ذلك ولا اخفي عنكم انني مرارا كنت انظر الى الكولونيل فأرى في هيئته ما يدعو الى الظن به ولهذا اقترحت امر البحث في الجيوب وانا عاتب على صديقنا السير نويل لانه سمح له بالخروج ولو كنت مكانه لما تركته يفلت ولو اضطرت الى مساعدة رجال الشحنة وانصرفنا تلك الليلة ونحن في مزيد الكدر والاضطراب تم كنا اذا اجتمعنا لا حديث لنا سوى الالماسة والكولونيل ولكننا لم نعد نراه من تلك الليلة . وسأل عنه يوما السير نويل فقال البارون لاشك انه سافر الى اميركا حيث يتمكن من بيع الالماسة فانها تكفيه ما بقي من حياته . فقال السير نويل أو تظنون ان الرجل في حاجة الى المال . فقال البارون يغلب على ظني انه فقير في الغاية لا يملك من الملابس الا ثوبه الذي اصبح في منتهى الرثاثة واطنه يقات من ضيافتك كل يوم فاني اراه يأكل بنهم شديد كأنه لا يذوق طعاما الا من المساء الى المساء . فتأسف السير نويل وقال او اه لو اخبرني عن ذلك لما تأخرت عن اعطائه مبلغا من المال يكفيه لمعيشته أو لدعوته للقامة معي كأخي

ومضت بضعة ايام فاجتمعنا مرة اخرى على مأددة السير نويل فذكرنا ليلة قد

الاماسة والكولونل وما كدنا نفرغ من الطعام حتى صاح الخادم صياحاً متتابعاً كمن قد عقله فنظرنا اليه واذا ييدم قشرة جوزة والاماسة الحقيقية في وسطها يتألق نورها كالشمس . فنهضنا جميعاً كأن آلة كهر بآية تحركنا وتقدم السير نويل الى الخادم فأخذ منه الجوهرة ونحسها فمرف انها هي الاماسة الحقيقية . وبعد البحث والتدقيق علمنا انه في تلك الليلة المشؤومة دخلت الاماسة في قشرة جوزة بدون انتباه احد ولما جاء الخادم لرفع ادوات الطعام سقطت القشرة في جيبه من غير ان يشعر بها . فلما كان في الليلة التي نحن فيها شعر بشيء غير عادي في جيبه فأخرجه ورأى القشرة فهم بأن يرميها واذا بالاماسة تلمع في وسطها . وكان فرحنا بوجود هذه الضالة لا يعادله فرح ولا سيما السير نويل فقضينا ليلتنا في السرور ومعاطاة الراح الى ان بزغت شمس الصباح . وكنا نتأسف الاسف الشديد على اتهمنا الكولونيل ولكننا التمسنا لانفسنا عذراً فيما ابداه من الممانعة والحالة الموجبة للظن

وفي الصباح التالي اجتمعت بالسير نويل فكان يصف لي اسفه لما بدا منا في حق الكولونيل والحل عليّ بوجوب البحث عنه والاعتذار اليه واعادته الى اجتماعاتنا فرأيت صواب فكره وكنت وياؤه نسعى في الوقوف على ما حل بالكولونيل . وبينما نحن سائران في الطريق المؤدية الى المدينة بين البساتين الواسعة حانت مني الفتاة فرأيت عن بعد ابنة تحمل شيئاً ووراءها فتى يتأثرها حتى اذا بلغت محلاً منفرداً هجم الفتى عليها فاطمها لكمة شديدة ألقتها الى الارض واختطف حملها وجعل يعدو من جهة اخرى . وكان السير نويل يرى معي هذا المنظر فصاح بي ان نسرع لانقاذ الفتاة وكان اسرع مني عدواً فتوجه لمطاردة السارق وركضت انا الى جهة الفتاة . ولما وصلت اليها وجدتها قد افاقت وقد استخرطت في البكاء فجعلت اطيب خاطرها واسألها عن امرها . وكان السير نويل قد ادرك السارق وصرعه فأوثقه الى شجرة هنالك واسترجع ما سرقه وعاد الينا وهو حامل بين يديه عيبة (بقجة) مغلقة بورق قد تمزق وبان منه ثوب اسود لكنه قديم العهد قد لعب فيه اليلى . وكانت الفتاة لا تزال تمسح دموعها المتساقطة فقلت لها هل أنت ذاهبة الى محل بعيد من هنا . فقالت انا

الضياء

(٢٢٧)

ذاهبة الى الخواجات برنتون . فقال السير نويل ذلك لا يمكن فالك لا تقدرين على اجتياز هذه المسافة البعيدة الآن فهل ذهابكِ ضروري . فقالت هذه ثياب والدي وهو مريض منذ زمن ملقى على سريريه ولا يوجد عندنا شيء من القوت وقد امرني ان آخذ ثيابه وارهنها في محل برنتون واحضر له ولي شيئاً نسد به رمقنا . فقال السير نويل اذاً انت مضطرة الى رهن هذه الثياب . قالت نعم يا مولاي فاني انا وابي لم ندق القوت منذ يومين . ولما قالت هذا عادت الى البكاء وظهر عليها الضعف الشديد فكادت تسقط الى الارض . فقال لي السير نويل لا بد من مساعدة هذه الفتاة يا صاحبي وانه ليسرني جداً ان اعين مسكيناً ان امكن فلم بنا . فاستوقفنا عربة ركباها واستصحبنا الفتاة معنا فسارت بنا الى حيث تسكن مع والدها . ومروا السير نويل في طريقه على مخزن ابتاع منه خبزاً وزبدة وبعض علب من اللحوم والحلويات وشيئاً من الفاكهة وزجاجتي مشروب

ولما بلغنا البيت ادخلتنا الابنة الى غرفة مظلمة وتركنا فيها ريثما تعلم والدها وبعد هنيهة سمعناه يقول لها لتدخلنا اليه فادخلتنا الى الغرفة الداخلية وكان ظلامها اشد من الغرفة الاولى ثم اوقدت مصباحاً فلما اضاء علينا رأينا سريراً عليه رجل في متهى الضعف عرفناه للحال انه هو الكولونيل جراهم . فلم يتالك صديقي ان صاح به اأنت هنا يا عزيزي جراهم وفي سرير المرض ولا تعلمني لكي آتي اليك . فجحطت عينا المريض عند معرفته ايانا وقال وهل تهتم يا سير نويل بسارق سرق جوهرك الثمينة لتسأل عن حاله . ولكن بما انك قد جئت الى منزلي فلعلك ترى في فخامته ما يحقق لك اني انا السارق . فالتقى السير نويل بنفسه على سرير الكولونيل واخبره بتفاصيل الحادثة وكيف وجد الالماسة المفقودة وأكد له انه لم يشك فيه قط . فقال الكولونيل ربما لم تشك انت ولكن ضيوفك جميعهم شكوا . فقلت كان يحق لنا ذلك عند اصرارك على عدم اظهار ما في جيوبك فلماذا لم تفعل . فهم الكولونيل بالجواب ولكنه قاطع نفسه بانه أثرت فينا تأثيراً شديداً . وكان الابنة تراقبنا وتسمع كلامنا وكلما اشرقت عليها حقيقة الامر فقالت اواه يا ابت وهل ظنوك سارقاً للالماسة حين

اتيتني بالطعام . فلا لا اني لا اخجل من شرح حقيقة امرنا ولو اجتهدت انت في اخفائه ثم نظرت اليها وقالت ضربتنا يد القضاء بالفقر بعد ان كان والدي في مقام رفيع فلم تطاوعه نفسه على الاستعطاء ولم يتيسر له وجود عمل يكسب به رزقه ورزقي فكان اذا دعي للعشاء عند صديقه السير نويل يجتهد ان يخفي في جيبه ما امكنه من اصناف المأكولات والفاكهة فيحضرها لي في رجوعه لاقتات بها الى ان يحضر لي غيرها في اليوم التالي . وهذا هو السبب في امتناعه من اظهار ما في جيبه . لانه لو فعل لظهر ما خبأه فيها من قطع اللحم والخبز التي احضرها لي في تلك الليلة المشؤومة فانه اصابته فيها حتى شديدة الزمته فراشه الى الآن . وكان لا يزال عندنا بعض ثياب لوالدي المرحومة فذهبت ورهنتها في محل برتون حتى اذا افقنا قيمتها منذ يومين ولم يبق لنا ما ناكل اعطاني والدي اليوم ثيابه وكنت في طريقى لرهنها حين ارسلكم الله للملاقاة

وكان الكولونيل قد ادار وجهه الى الحائط وهو في اشد التأثر فلما انتهت الفتاة كلامها قال نعم انني لم اسمح بفتح جيبى امامكم لانني مع ثقتي انني لم اكن سارقاً للجوهره غير انني كنت سارقاً للقوت . وعند ذلك اجتهدت وانا والسير نويل في ملاطفة الكولونيل والاعتذار اليه ثم بسطنا الطعام والشراب وجلسنا معاً وكانت تلك المأدبة الذّ واشهى وليمة صادفتني في حياتي . وكان السير نويل يتفرس في الفتاة واذا به قد قبض على ذراعي يدي من حديد وصاح قائلاً يا غارفيلد قد وجدت الاماسة الثانية . وكانت ابنة الكولونيل هي نفس الفتاة التي رآها السير نويل في الكنيسة كما تقدم ولا تسئل عن سروره بوجودها فلم نخرج من ذلك البيت الحقير الا والكولونيل وابنته معنا فأخذها السير نويل وافرد لها محلاً في قصره ولما تعافى الكولونيل اقترن السير نويل بفاتنته وعاشا حياة سعيدة فكنا نجتمع بهم في اغلب الاحيان ونذكر الماضي ونعجب من حسن ذلك الاتفاق

